سومر

الجزء الأول والثاني - المجلد الرابع والثلاثون

١٩٧٨

حول الزخارف الهندسية الإسلامية

الدكتور كاظم الجنابـي

١ـ معلومات عامة

التعريـف بالزخرفة :

الزخرفة في الأصل الزينة او النقش بطريقة فنية مرتبة بمقاسات محددة سواء بالحفر او الرسم في الأشياء المنقولة او غير المنقولة مما ينتفع به عام او خاص كالتحف والمباني .

وعمل الزخرفة في تاريخ الفنون العربية الاسلامية تعرف اصطلاحا بالفنون الصناعية او الفنون التطبيقية (MINOR ARTS).

وفي اقسامها تقسم الزخرفة الى اربعة اقسام هي الزخارف النباتية . الزخارف الحيوانية الزخارف الهندسية . الزخارف الكتابية .

وسنحاول بايجاز التعريف بكل قسم من هذه الأقسام : ـ

١ـ الزخارف النباتية : ـ

المقصود بها كل زينة او حلية زخرفية تعتمد في رسمها أو نقشها على عناصر النبات واجزائه كالسيقان والأوراق والأزهار والأثمار بمختلف أشكالها او صورها سواء كانت بشكلها الطبيعي او محورة بهيئة رموز مجردة بعيدة عن طبيعتها الأصلية ويستفاد من هذا التجريد في ملء الحشوات الزخرفية وسد فراغاتها وفي عمل الافاريز واكساء الارضيات . ومصطلحها المتعارف عليه لدى باحثي الفنون الاسلامية بأسم التوشيح العربي [1] (الارابسك) ARABESQUE

٢ـ الزخارف الحيوانية : ـ

المراد بها استخدام رسوم الحيوان بانواعه واشكال صوره عناصر ووحدات زخرفية على التحف والمباني وقد تحفر او ترسم هذه الأشكال او تخلط بعناصر زخرفية نباتية مجردة او طبيعية وبخاصة الأرضيات التي ترسم او تنحت عليها .

٣ـ الزخارف الهندسيـة : ـ

المقصود بها استخدام الأشكال الهندسية المستوية او المجسمة المرسومة بالمقاسات عناصر ووحدات زخرفية على التحف والمباني أيضا . وقد تمزج الزخارف الهندسية بالزخارف النباتية او الحيوانية او الكتابية مبالغة في زينتها واظهار جمالها على الوجه الأكمـل .

٤ـ الزخارف الكتابيـة : ـ

المراد بها استعمال الخطوط العربية كعنصر زخرفي في التحف والمباني .

وتعد الزخارف الكتابية من أهم مميزات الفن العربي الاسلامي بل من مبتكراته من حيث أن الحروف العربية في أصلها أداة طيعة للعمل الزخرفي في جميع مجالاته ، ولها اهمية كبرى في تحديد زمن التحفة او البناء من نوع الخط او شكله اذا كان الاصل غفلا من تاريخ التشييد او سنة الصنع ، كما يمكن رد التحف واشكالها ونماذجها الى البلد الذي صنعت فيه . وقد جرت العادة في الزخارف الكتابية ان تخلط بالزخارف النباتية او الهندسية مبالغة في زينتها أيضا . ولكن الذي يعنينا من هذه الزخارف التي اوجزنا لها آنفاً الزخارف الهندسية ومصطلحاتها الفنية ، لأن الزخارف الهندسية تعد من ناحية التصميم والتشكيل من أشق المواضيع الزخرفية لأنها تعتمد على الأشكال الهندسية المستوية وليست سهلة الفهم كما يتصور البعض لأنها من المهن التطبيقية لا يعرفها الا الصناع ممن تدربوا عليها منذ الصغر واخذوها بالتوارث .

ومما يؤسف له ان كتب الفنون الاسلامية المعتمدة لن تتناول موضوع الزخارف الهندسية ومصطلحاتها الفنية بالبحث الموسع دائما تدور حولها ولن تمس صميمها بالتفصيل كما مست مواضيع الفن الاسلامي الأخرى .

ومن الملاحظ ان كل المحاولات التي بذلت من قبل الرحالة الأجانب او دارسي الفنون العربية الاسلامية في نهاية القرنين الماضيين لجمعها بشكل أطالس او تقليد اشكالها بالمرسومات والمصورات فانها لن تصل الى جوهرها او أصول رسمها وكشف مصطلحاتها وانما كانت مجرد مستنسخات لها طبق الأصل لانشك في قيمتها الفنية لأنها قدمت في الماضي صورا جميلة للعالم الاوربي عن فنون هذه الزخرفة التي مارسها العرب المسلمون في عزنهضتهم.

وقد لاحظنا من خلال تجاربنا التطبيقية للزخارف الهندسية انه لن يبادرأحد من الباحثين في العراق بحث اوتناول هذه الزخارف وكشف أصولها وعرف بمصطلحاتها الفنية . وان وجدت فمجرد ملاحظات تاريخية وصفية ولهم العذر ، لأن الزخارف الهندسية صنعة تطبيقية فنية يعرفها الصناع وحدهم ، لا يجوز في عرفهم كشفها أو تعليمها لأحد خشية الابتذال من ذاك احتكروها ، ثم ان الزخرفة مسألة تعتمد على الممارسة والتطبيق والذوق والقياس والموازنة تبدأ من النقطة والخط والى باقي الأشكال الهندسية المستوية الأخرى ، وان الوحدات الزخرفية فيها ينبغي حفظها عن ظهر قلب مثلما تحفظ قوانين الجبر والهندسة كما ينبغي معرفة رسمها وكيفية اشتقاقها اوبتعبيرآخركيفية استنباط القطع الزخرفية واستخراجها من السطوح الهندسية او رد اشكالها الى الأصل الذي رسمت منه وهذا مما يصعب على الباحثين حلها ممن لم يتدربوا عليها او حاولوا رسمها بصورة تطبيقية ، ثم هي بعد ذلك قواعدحسابية واستنباط وتركيب . لايجوز فيها التحوير او التغيير وانما نسب تحدد حسب المساحات اوالسطوح المراد نقشها اوتغطيتها بالزخارف مهما كبرت اوصغرت ، ومن اصولها انها قابلة للاشتقاق لتوليد أشكال زخرفية جديدة تغاير الأصل ، وانه بمجرد حذف وحدة زخرفية او خط من خطوطها فان شكلها يتغير كليا حتى بالأسم لأن الزخارف الهندسية لها اسماء خاصة يحفظها الصناع عن ظهرقلب وانه بمجرد ذكر الأسم فان المصمم او الصانع يشكل رسمها دون الرجوع الى الأصل اوالشكل المراد نقشه اوزخرفته .

٢- فكرة الزخارف الهندسية ومصطلحاتها

أما فكرة الزخارف الهندسية كما يهدى الظن فانها تشبه المنظومة الشمسية وتوزيعها في قبة السماء كالقمر والنجوم وبعض العوارض الجوية .

ومن باب التشبيه يطلق عليها باحثو الفنون في مصر اسم « الاطباق النجمية » .

أما في العراق فيطلق صناع الزخرفة على الأطباق النجمية اسم « الربع » لأن تصميم الشكل الزخرفي يرسم في ربع « مربع » او ربع « المستطيل » او بتعبير آخر يرسم من الشكل الزخرفي في ربعه فقط ثم يكرر او يقلب هذا الربع على نفسه عدة مرات من محورواحد . فحاصل التكراريتتج الشكل المطلوب . ومن هنا جاءت تسميته باسم الربع من باب اطلاق الجزء عـــلى الكـــل .

والسؤال الذي يقابلنا بعد ذلك أنه كيف نميز الارباع الزخرفية اوالأطباق النجمية عن بعضها ؟ مما لا شك فيه ان لكل ربع زخرفي اوطبق نجمي شكل خاص أورسم ينفرد به عن الأشكال الزخرفية الأخرى ولكي نميز اونفرق الزخرفية عن بعضها ، ينبغي أولا ان نلاحظ ان الأشكال الزخرفية الهندسية تحمل اوتضم في تصميمها أشكالاً نجمية بهيئة (شموس) وهذه الشموس ذات رؤوس لوزية متعددة تدور حولها قطع هندسية خاصة ومن عدد رؤوس هذه الشموس اوالنجوم والقطع الهندسية يعرف أسم الشكل الزخرفي فان كانت نجمة الربع الزخرفي او« الطبق النجمي » ذات عشرة رؤوس وحولها عشر نهايات « د حقومي » سمي ذلك الربع باسم طبق نجمي عشري اوكما يصطلح عليه الصناع « د حقومي [٢] العشرة » . ولكن اذا احتوى الربع الزخرفي عدا نجمته ونهاياته على قطع زخرفية أخرى ، فينبغي والحالة هذه ذكر اسماء هذه القطع عند تسمية « الربع » شكل (١) .

٣- أقسام الارباع الزخرفية

تقسم الارباع الزخرفية (الأطباق النجمية)من حيث رسمها او تصميمها الى ثلاثة أقسام :

١- الأرباع الزوجية :
٢- الأرباع الفردية :
٣- كسور الارباع :

وسنحاول شرح هذه الأقسام بما يلي :

١- الأرباع الزوجية .

وهي الأرباع التي تكون رؤوس نجومها زوجية وتشمل ربع نجمة (٤) و(٦) و(٨) و(١٠) و(١٢) و(١٦) ... الخ .

٢- الأرباع الفردية .

وهي الارباع التي تكون رؤوس نجومها فردية وتشمل

ربع نجمة (٧) و(٩) . الا أنه يمكن خلط الأرباع الفردية في بعض الارباع الزوجية كأن يخلط الربع (٦) والربع (٧) أو الربع (٩) بالربع (١٢) .

٣- كسور الأرباع

وهي عبارة عن استعمال وحدة زخرفية مع وحدة زخرفية أخرى مغايرة دون استعمال النجمة لتوليد شكل زخرفي جديد وتستعمل كسور الارباع لتغطية الاماكن الضيقة في الزوايا او الأشرطة وواجهات العقود أو النوافذ .

٤- الخصائص العامة للارباع الزخرفية

للارباع الزخرفية الهندسية خصائص عامة عند الرسم أو التصميم نوجزها فيما يلي : —

١- ترسم أو تصمم الأرباع الزخرفية عادة في ربع مربع أو مستطيل أو بتعبير آخر في زاوية قائمة .

٢- تبدأ الأرباع الزخرفيةعند الرسم او التصميم برسم ربع نجمة ثم تشكل حلها الوحدات الزخرفية حسب اسم الربع وتكون بداية رسم الربع الزخرفي مثل نهايته .

٣- قابلية الربع الزخرفي أو بعض الوحدات الزخرفية للتكرار والتعداد ، والفائدة من التكرار زيادة عدد الوحدات الزخرفية لتغطية أكبر مساحة مطلوب زخرفتها .

٤- بعض الأرباع الزخرفية قابلة للقلب ولكنها طبيعة للتكرار مثل كسور الأرباع .

٥- قابلية الأرباع الزخرفية للمزج والتركيب مع ارباع زخرفية أخرى كأن تمزج ارباع زخرفية زوجية كبيرة مع ارباع زخرفية صغيرة او ارباع زخرفية زوجية بأرباع زخرفية فردية ، والسبب في ذلك مبالغة في الزينة والتشكيل .

٦- قابلية الزخارف الهندسية للتركيب أو التطعيم بالزخارف النباتية أو الحيوانية كما يمكن تطعيمها بقطع من الاجر المزجج أو الاصداف البحرية[٣]

٥- المصطلحات الفنية للوحدات الزخرفية

كل ربع من الأرباع الزخرفية أو (الأطباق النجمية) يتألف من وحدات هندسية مستوية ، وهذه الوحدات تسبر بمقاسات تحدد حسب المساحة المراد تغطيتها بالزخارف ، وتستخرج هذه الوحدات نتيجة تصميم الربع الزخرفي أو « الطبق النجمّي » أو عند تكرار أو قلب وحدة زخرفية زوجية أو فردية .

وللتفريق بين وحدة زخرفية وأخرى ، فقد تواضع الصناع في العراق على تسمية كل وحدة منها باسم خاص حسب شكلها . وهذه الوحدات ينبغي حفظها عن ظهر قلب كما ذكرنا آنفا . وفي الجدول الآتي سنحاول شرح أو تعريف هذه الوحدات الزخرفية حسبما تعارف الصناع على تسميتها في العراق ، موضحين ذلك بالمرسومات لسهولة الاستدلال .

١- النجمة :

وتعرف لدى الصناع بأسم « الشمسة » من باب التشبيه بالشمس وهي عبارة عن دائرة هندسية ذات رؤوس لوزية متعددة تبدأ من أربعة رؤوس الى ستة عشر رأساً أو أكثر وهي اول مايرسم عند تصميم الشكل الزخرفي ويكتفى عادة برسم ربع منها في زاوية قائمة وهي الاساس في رسم الأرباع الزخرفية ومنها يمكن معرفة اسم الربع الزخرفي من عدد رؤوسها وتعرف أيضاً لدى الصناع بمصر باسم « الترس » شكل (١) .

٢- اللوزة :

عبارة عن مثلث متساوي الساقين ينتهي من الاسفل بزاوية منفرجة ،وتستعمل اللوزة لسد الفراغ بين رؤوس النجمة وتعرف بمصر بأسم السروة شكل (٢) .

٣- الدحقومي :

كلمة فارسية تتألف من مقطعين « ده » تعني عشرة و « كمبه » قمة أو نهاية .

والكلمة تعني عشرة نهايات والشكل الهندسي « للدحقومّي » عبارة عن مسدس ضلعان منه بهيئة مثلث متساوي الساقين ويعرف بمصر باسم (الكند) شكل (٣) و(٣ب)

٤- الكأس :

ويعرف لدى الصناع باسم (الكاسة) وشكله الهندسي عبارة عن مستطيل رأسه بهيئة زاوية منفرجة واسفله بهيئة زاوية حادة شكل (٤) .

٥- « سي كرون » :

كلمة مؤلفة من مقطعين « سي » تعني ثلاثة باللغة الكردية و « كرون » محرفة عن الكلمة العربية « قرن » (والمعنى العام ثلاثة قرون والشكل يشبه قدم الغراب وتعرف بمصر باسم « بيت غراب » والشكل مشتق من ثلث النجمة السداسية شكل (٥) .

٦- المعين :

معروف هندسيا وهو ثلث المسدس ويعرف لدى الصناع باسم (بادمية) وهي لفظة تركية فارسية وتعني اللوزة . وتعرف بمصر باسم السقط شكل (٦) .

٧- برفش نار :
عبارة عن وحدة زخرفية مشتقة من ربع النجمة السداسية وقد قص رأسان منهما وترتب عند التشكيل بصورة متقابلة مرة ومتدابرة مرة أخرى فينتج الشكل بما يشبه البرق شكل (٧) .

٨- الحربة المقرنة :
وتعرف لدى الصناع باسم (البدرية) وتشتق من ربع نجمة سداسية و « دحقومي » شكل (٨) .

٩- الطبل :
معروف عبارة عن مثمن ضلعان منه مضغوطان الى الداخل وأحياناً المسدس ويعرف بمصر باسم « ناسومة » شكل (٩ أ) وشكل (٩ب)

١٠- السرمدان :
كلمة فارسية وتعني قمة راسية ويعرف عند الصناع باسم البازبند » أي الرباط وهو عبارة عن معين ينتهي كل جانب منه بمثلث متساوي الأضلاع شكل (١٠)

١١- السمكة :
معروفة شكل (١١) .

١٢- العليات :
عبارة عن الصليب المعكوف وسمي بالعليات لتقارب رسم فتحاته من العين الكوفية ويستعمل لسد الفراغ في المعين أو المربع (شكل ١٢) .

١٣- الجارلك :
كلمة فارسية (جار) تعني اربعة ولنك زاوية أو رأس وهي نجمة رباعية (شكل ١٣) .

١٤- البنجة :
كلمة فارسية تعني خمسة وتطلق على النجمة الخماسية شكل (١٤) .

١٥- المسدس :
سطح مستو محاط بستة اضلاع ويرسم بواسطة نصف قطر الدائرة وبتعبير هندسي آخر محيط الدائرة مقسوماً على ستة، ويعرف لدى الصناع باسم (الشيشة) وهي كلمة فارسية تعني ستة . شكل (١٥) ، ومن المسدس ترسم أوتشتق أغلب الوحدات الزخرفية .

١٦- السرج :
معروف ويسمى لدى الصناع باسم العكس واساسه الهندسي مسدس محذوف منه معين ويعرف بمصر باسم (غطاء السقط شكل (١٦) .

١٧- الدرغلية :
كلمة تركية من (دراغ) وتعني المشط وله ثلاثة اشكال المشط المسنن والمشط المستطيل ضلعان منه مضغوطان الى الداخل شكل ١٧ أ و ١٧ ب وشكل (١٨) .

١٨- المكوك
معروف آلة نسيج تشبه الودعة (شكل ١٩) .

١٩- المسند :
معروف ويعرف لدى الصناع باسم (الكند) عبارة عن ثلاثة ارباع نجمية اثنى عشرية (شكل (٢١) .

٢٠- الفنصة :
عبارة عن ثلاثة ارباع نجمة اثنى عشرية شكل (٢١) .

٢١- السهم :
معروف شكل (٢٢) .

٢٢- القائمات :
وتعرف لدى الصناع باسم (القابات) وهي لفظة تركية مفرد (قابة) أو « قاب » تعني (طبق) وتشتق من ترتيب نجمة سداسية فردية وأخرى زوجية ثم فردية شكل (٢٣ أ) وشكل (٢٣ب

الهوامش :

(١) الدكتور احمد فكري : التأثيرات الفنية الاسلامية العربية على الفنون الاوربية : مجلة سومر مجلد ٢٣ (١٩٦٧) ص ٨٤ .

(٢) سنشرح هذه الكلمة فيما بعد .

(٣) دخلت الى مخازن المؤسسة العامة للاثار في شتاء عام ١٩٧٦ مجموعة من الزخارف الهندسية المحفورة على الاجر وكانت مطعمة بالاصداف البحرية وقد اكتشف في جامع البصرة من القرن ٧ هـ

* * *

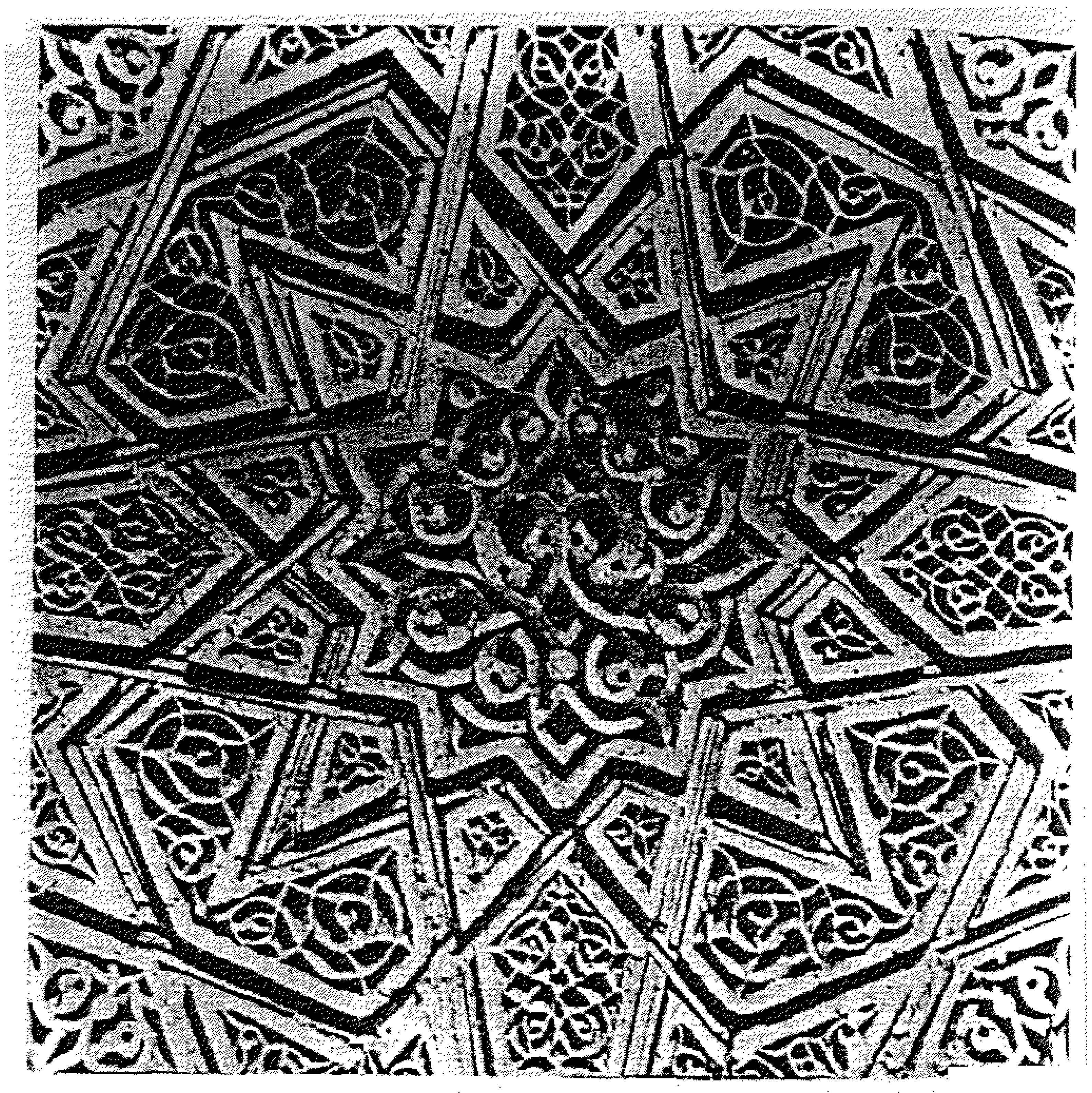

طبق نجمي اثنى عشري

طبق نجمي اثنى عشري

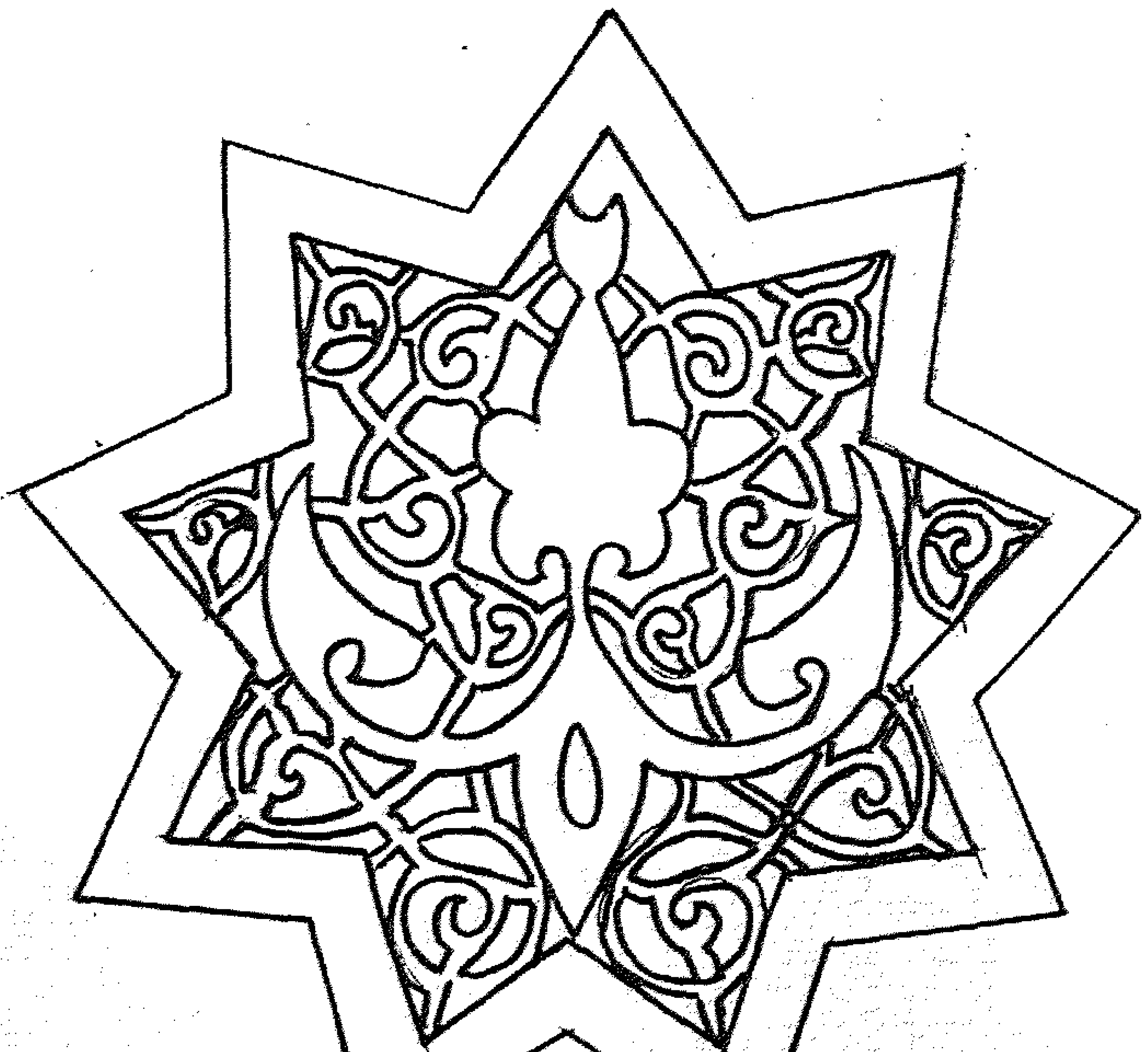

نجمة أو « شمسة » ذات تسعة رؤوس من زخارف المدرسة المرجانية ببغداد

شكل "١"

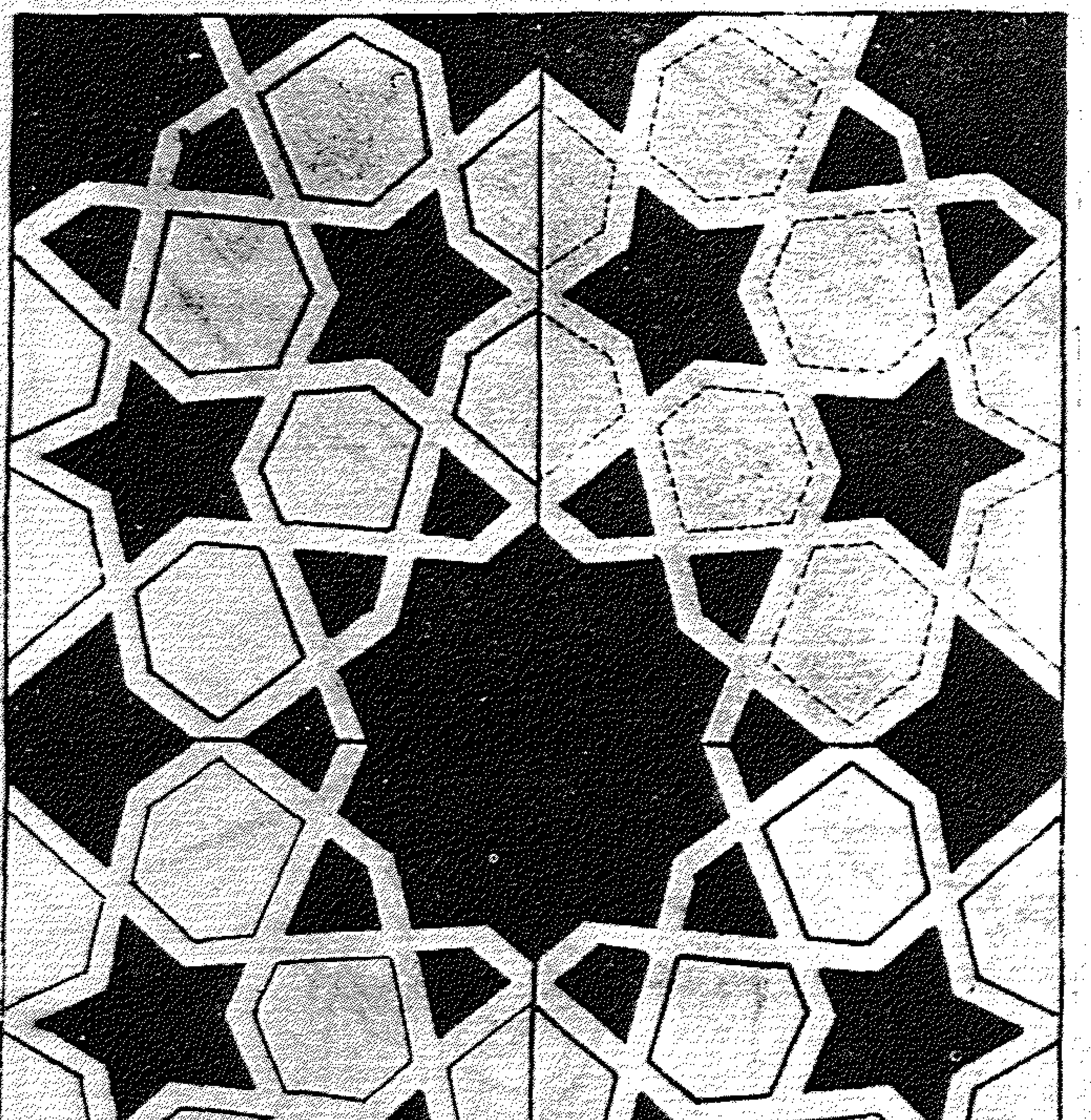

طبق نجمي عشري

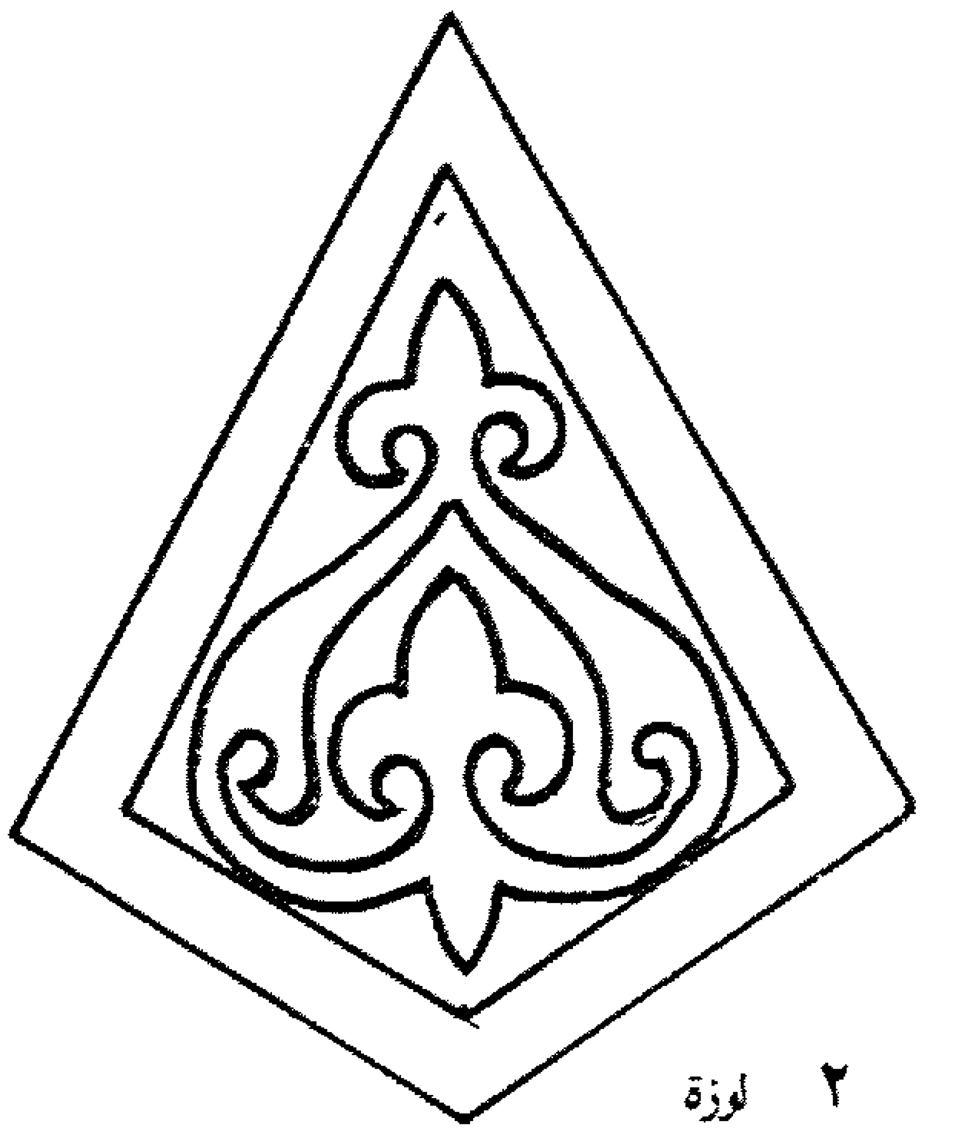

٢ لوزة

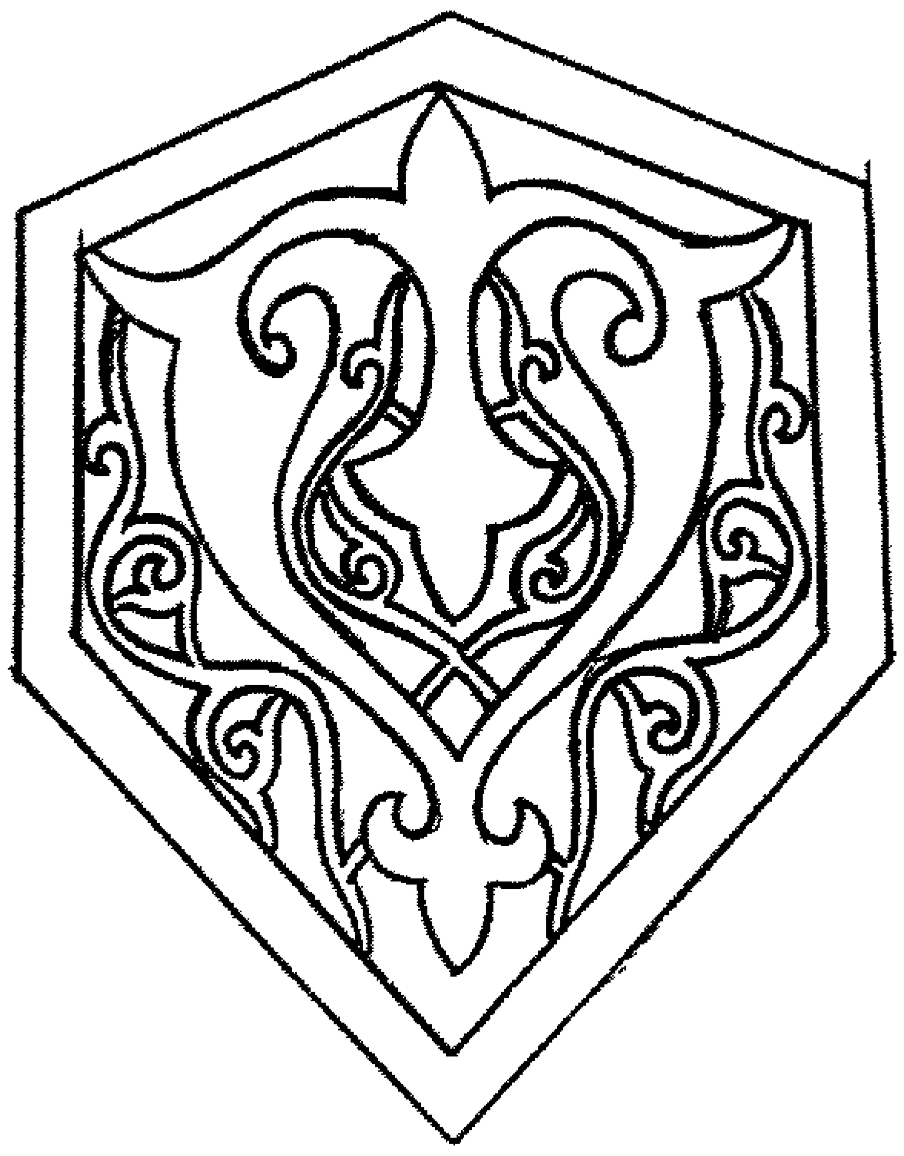

٣ دحقومي ، من زخارف القصر العباسي والمدرسة المرجانية

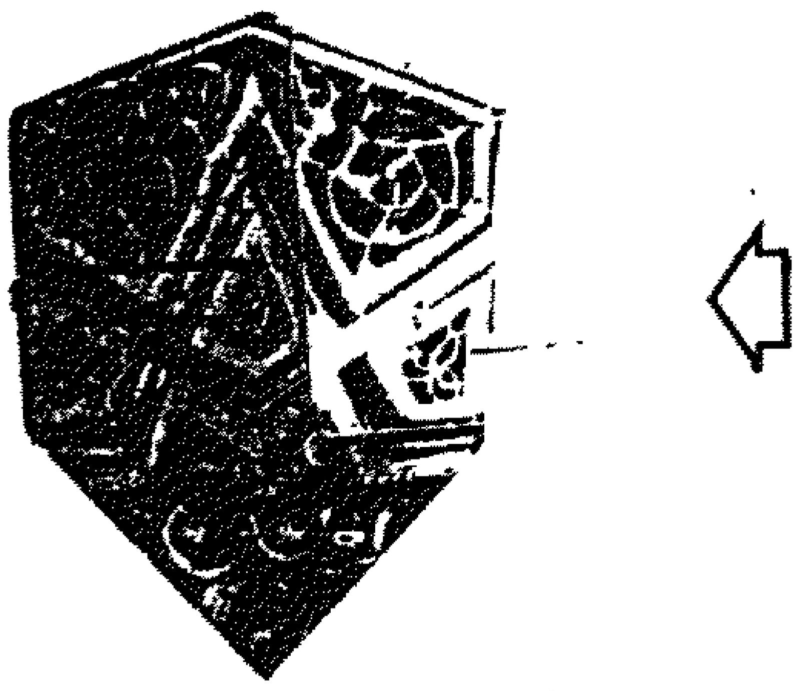

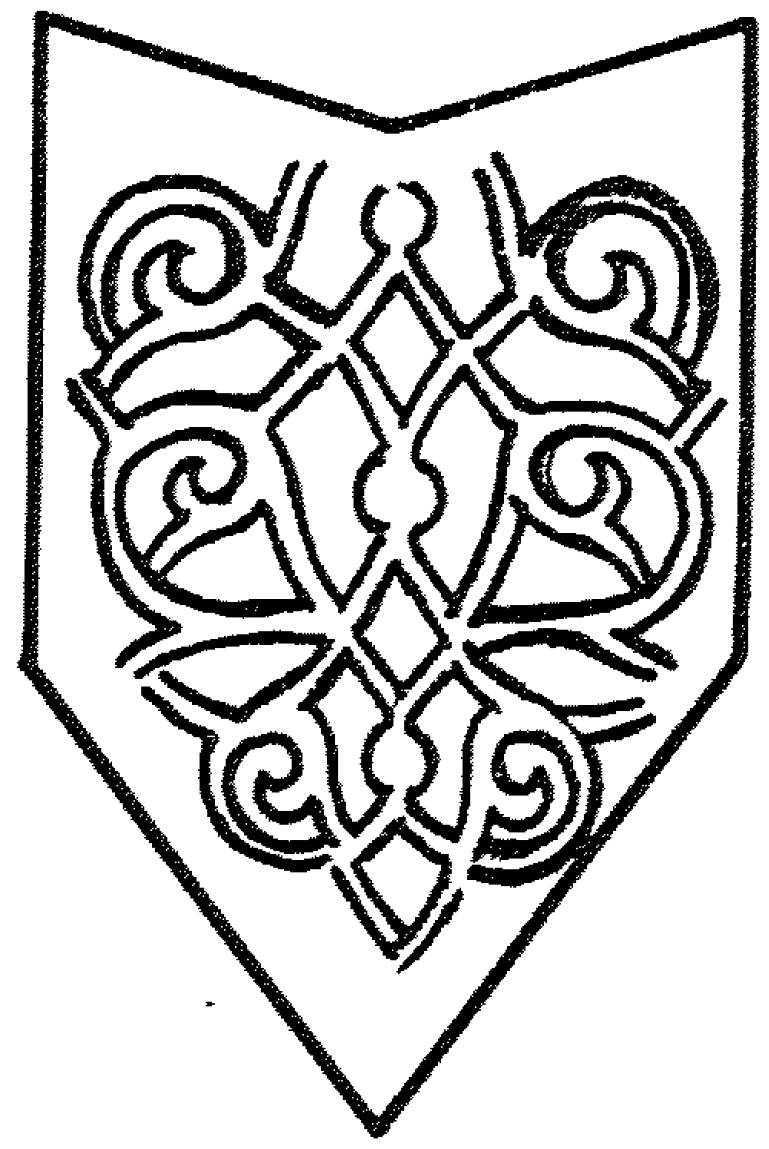

٤ كأس من زخارف القصر العباسي ببغداد

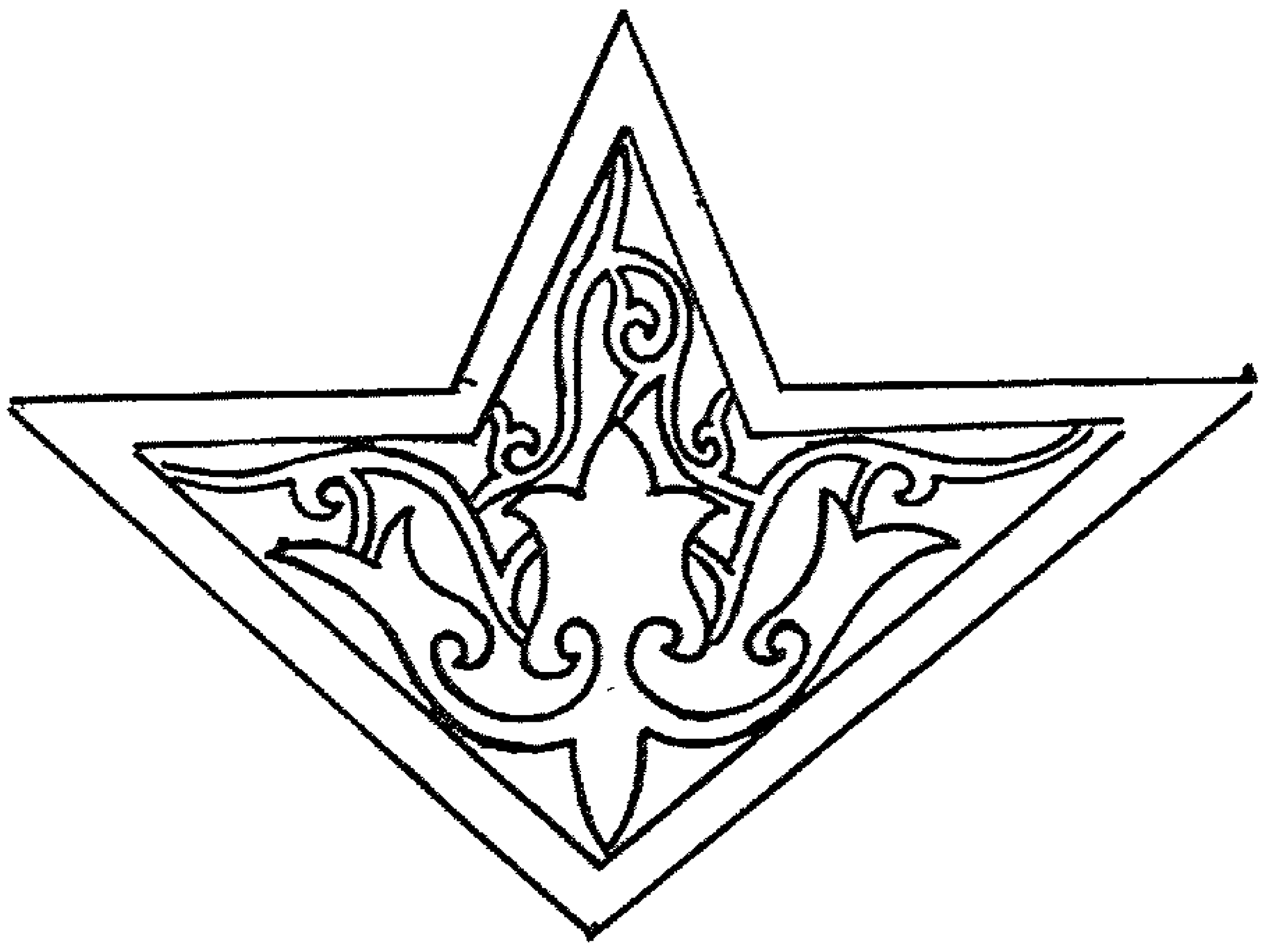

٥ (سي كرون) « بيت غراب » من زخارف القصر العباسي

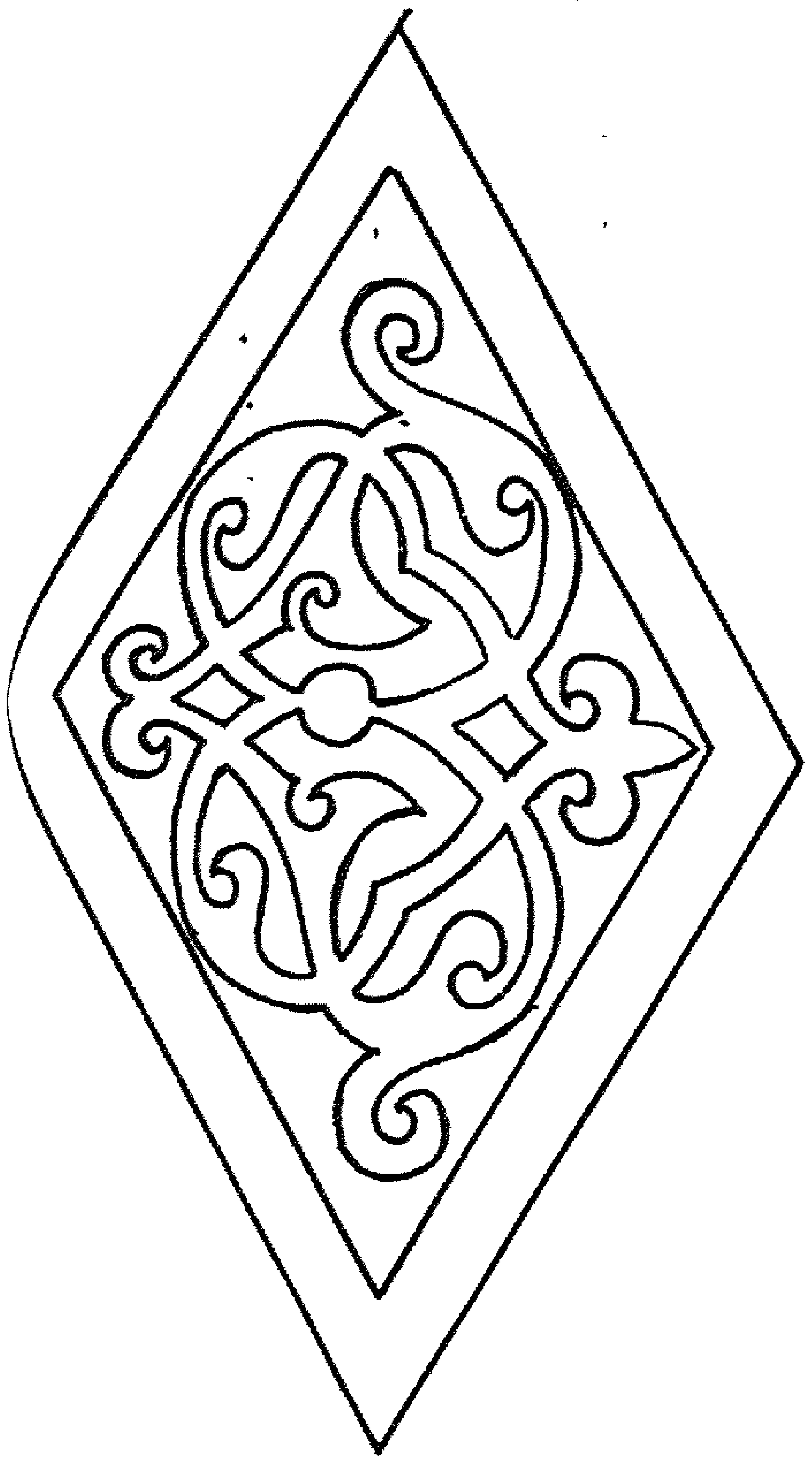

٦ معين (يلامية) من زخارف المدرسة المرجانية ببغداد

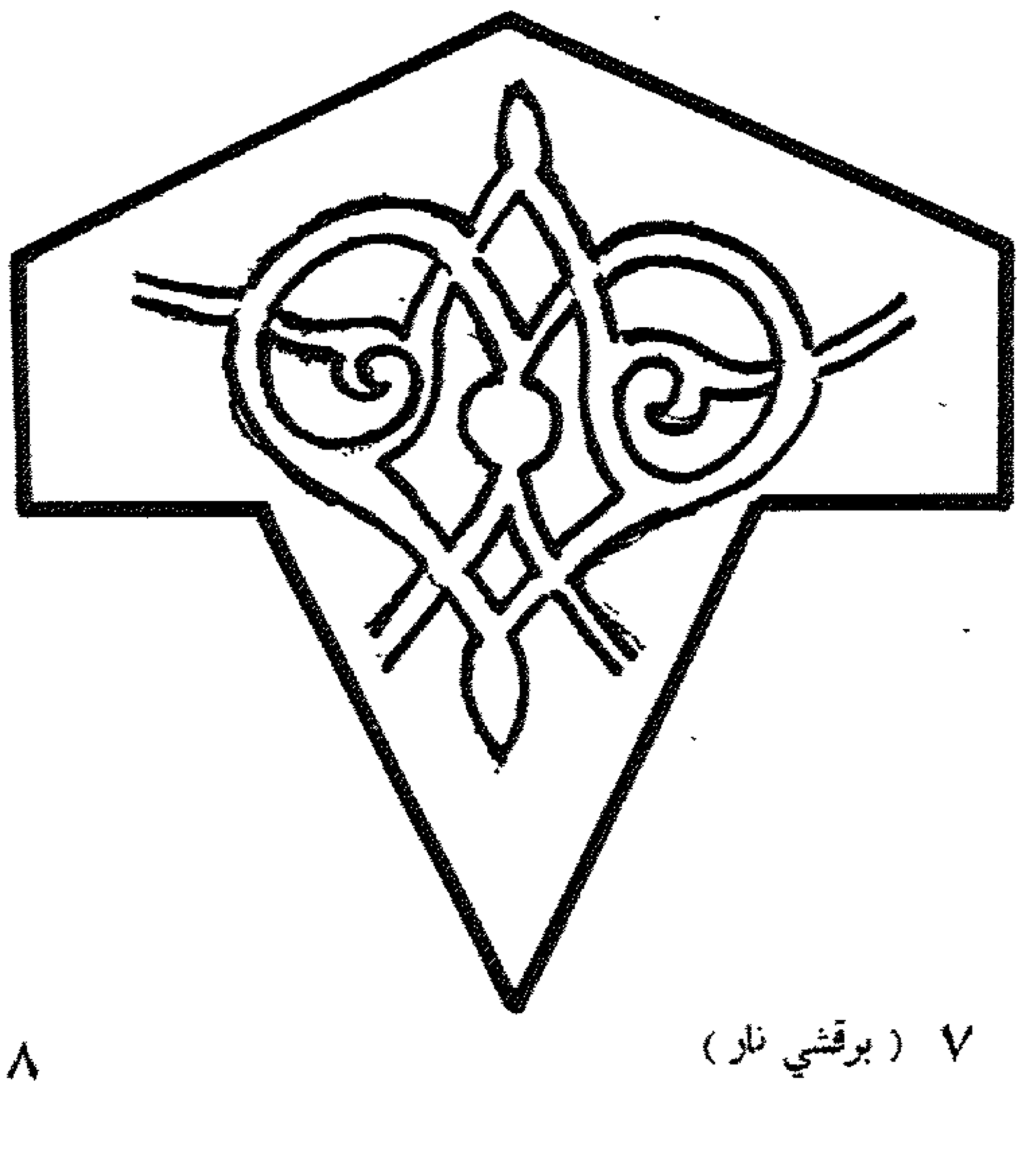

٧ (برقشي نار)

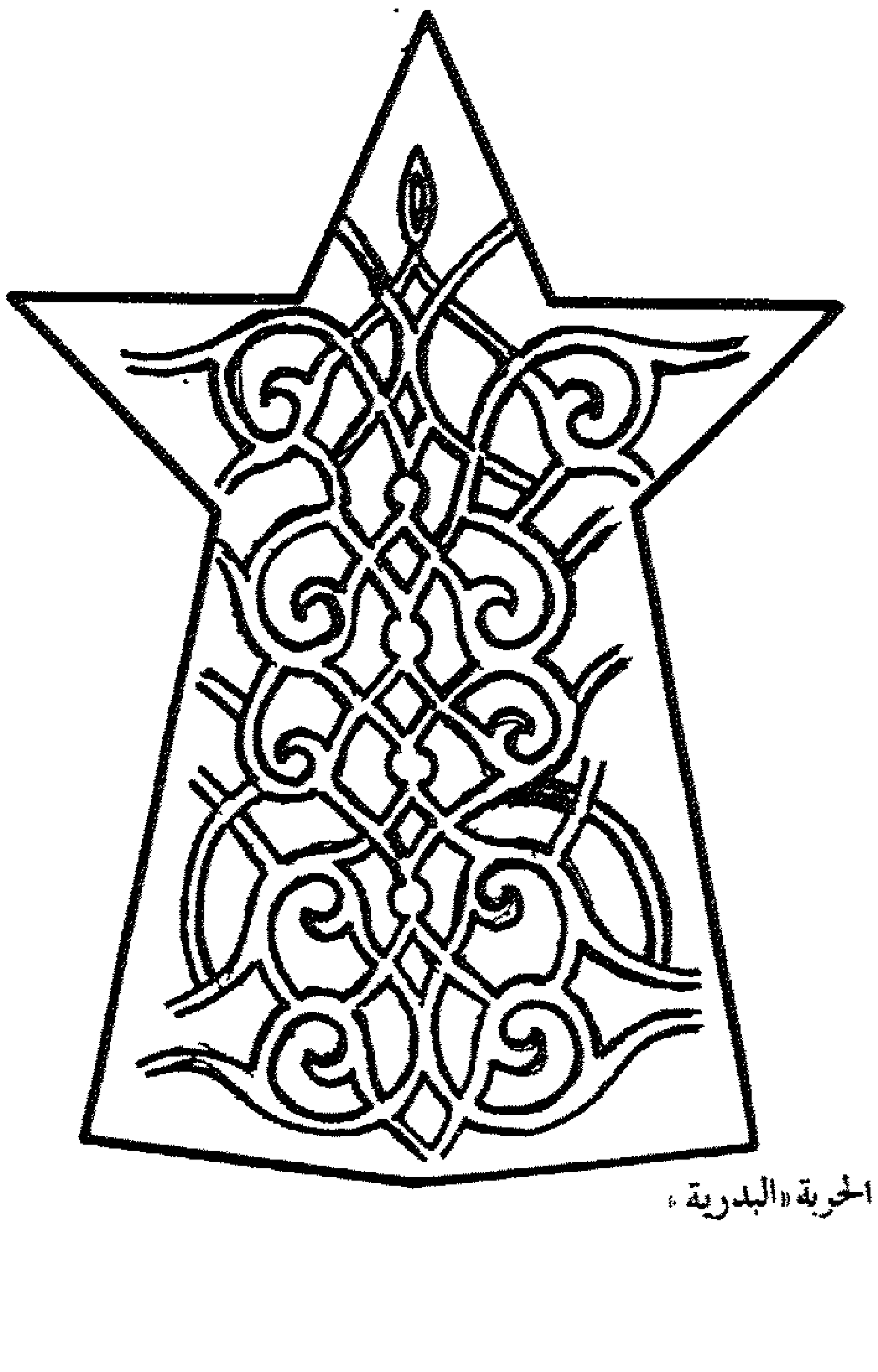

٨ الحربة «البدرية »

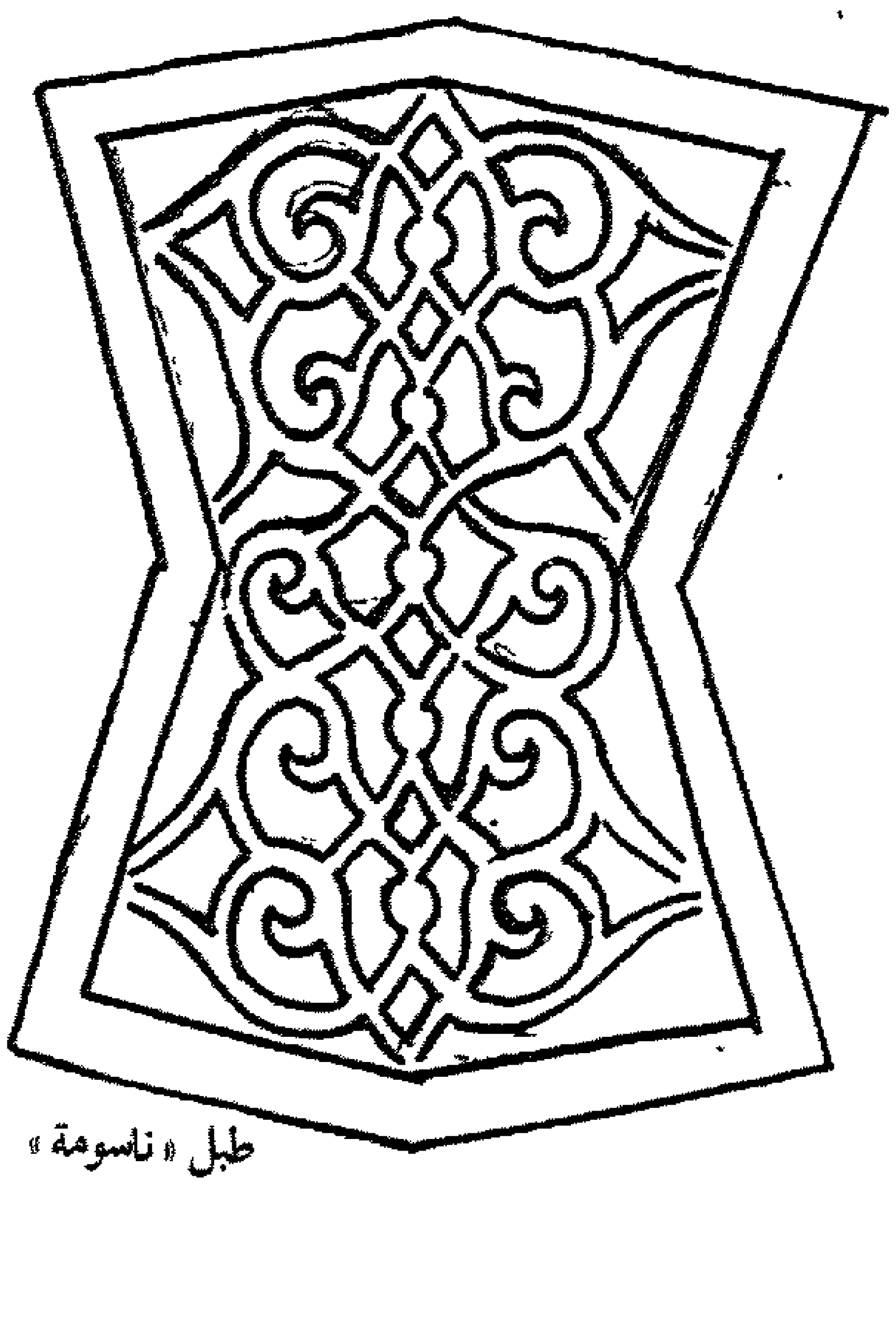

٩ آ طبل « ناسومة »

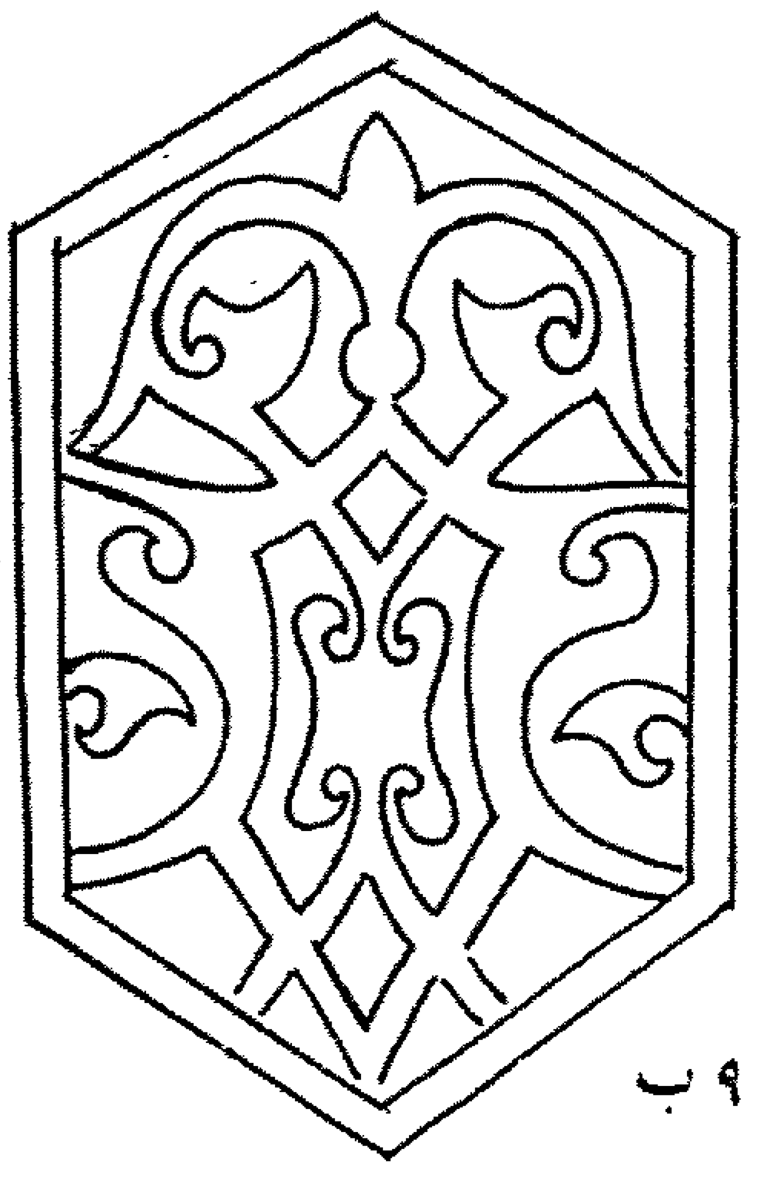

٩ ب

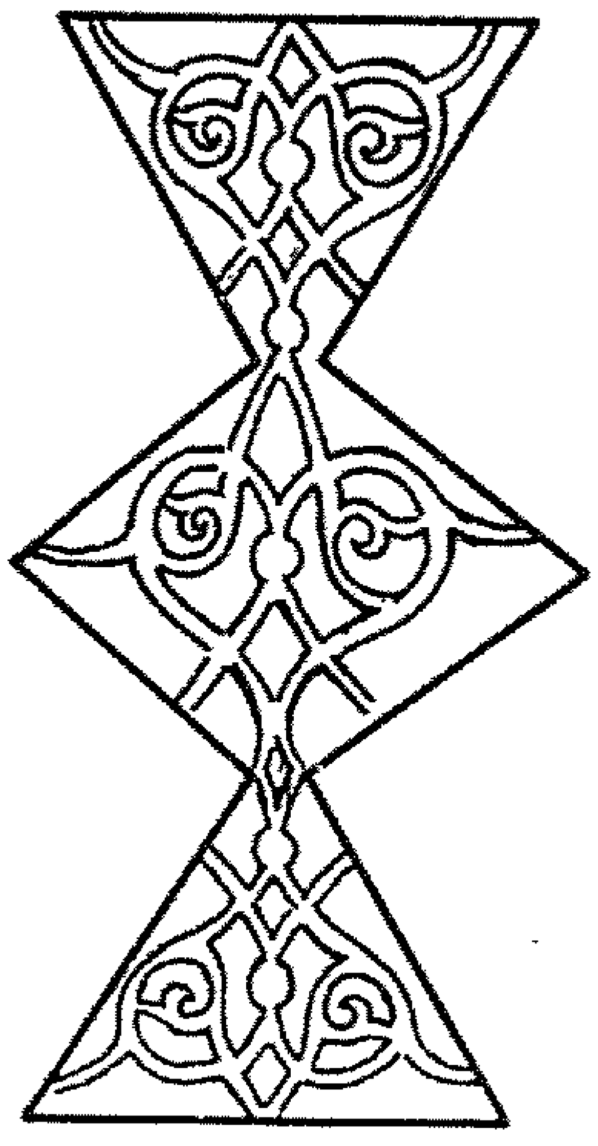

١٠ « سرمدان او بازبند »

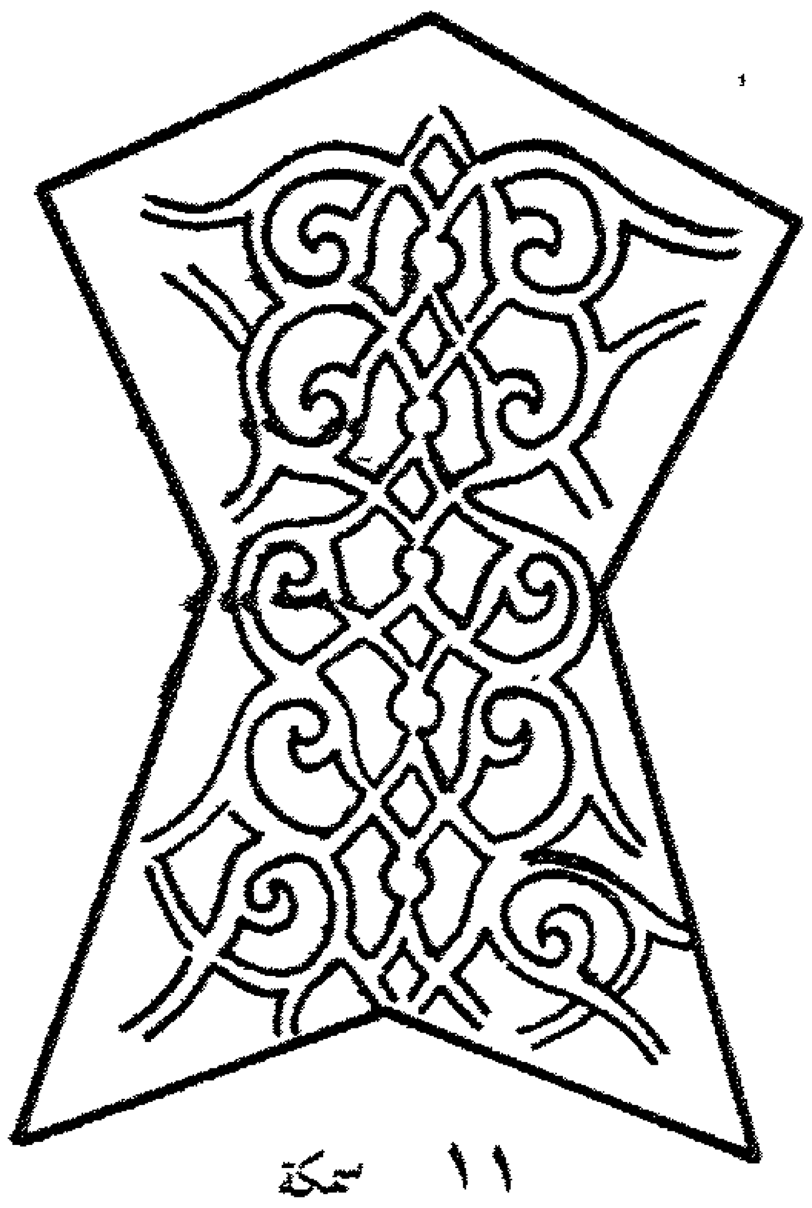

١١ سمكة

١٢ الصليب المعكوف (عليات)

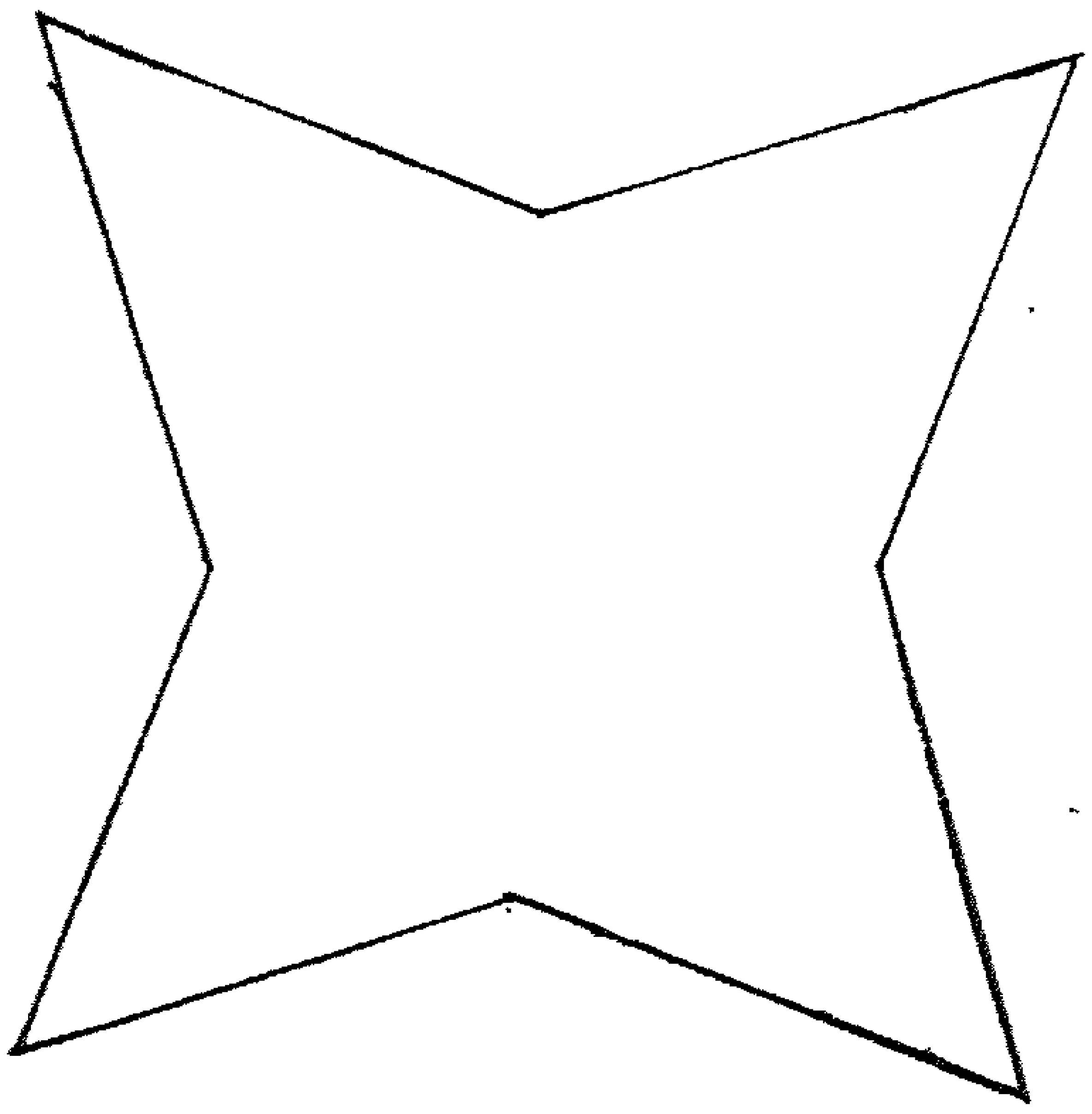

١٣ نجمة رباعية « جارلنك »

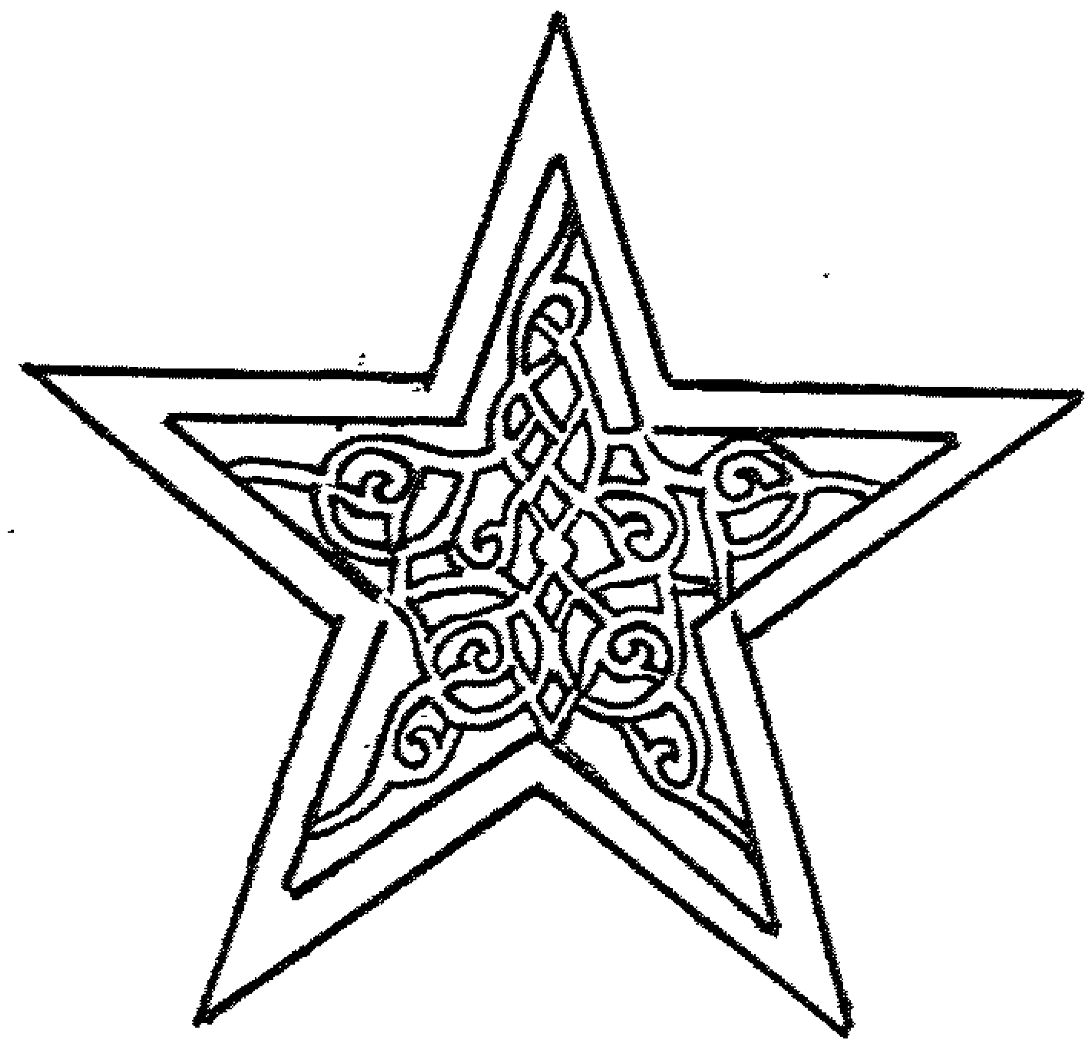

١٤ نجمة خماسية « پنجة »

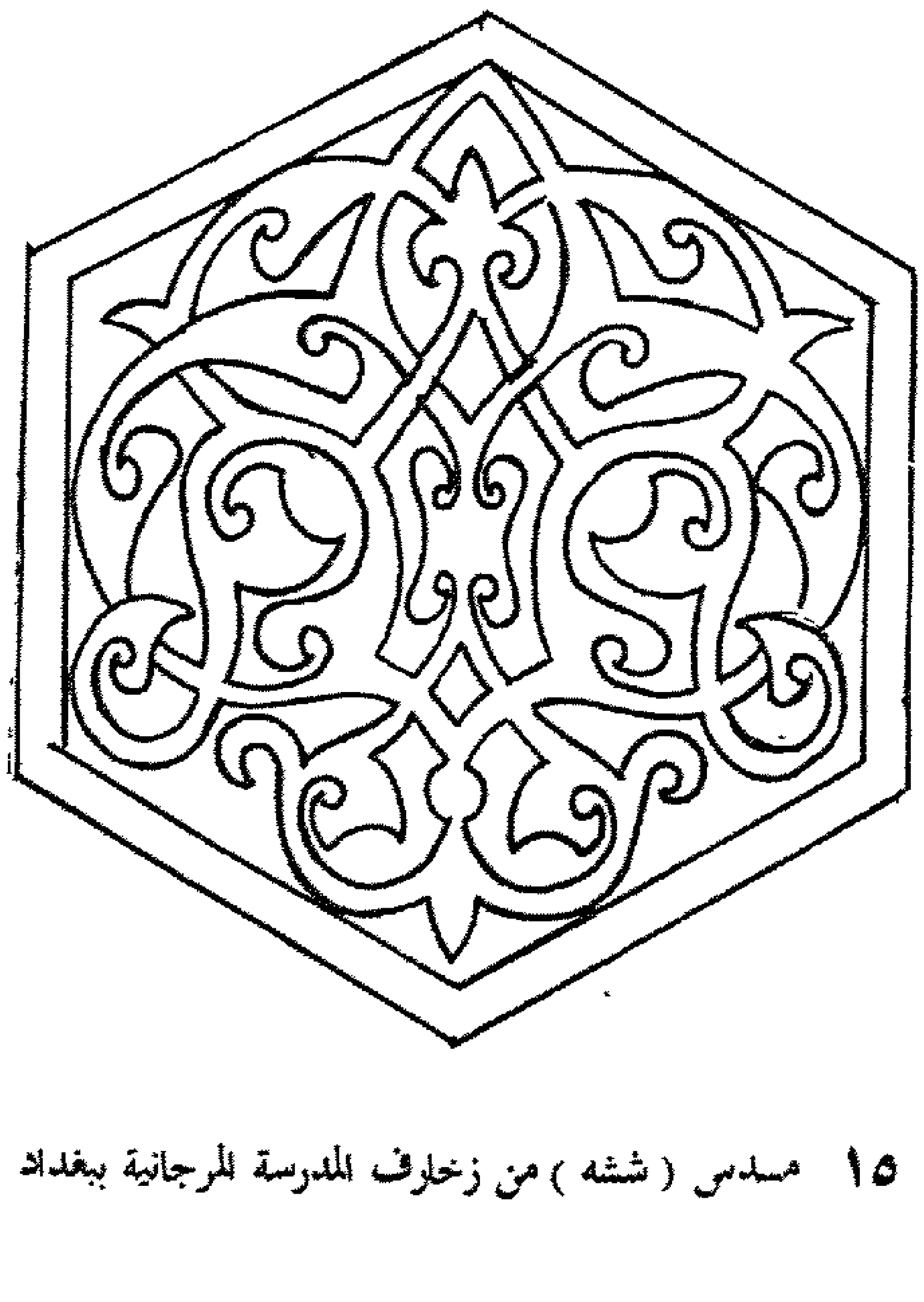

١٥ مسدس (ششه) من زخارف المدرسة المرجانية ببغداد .

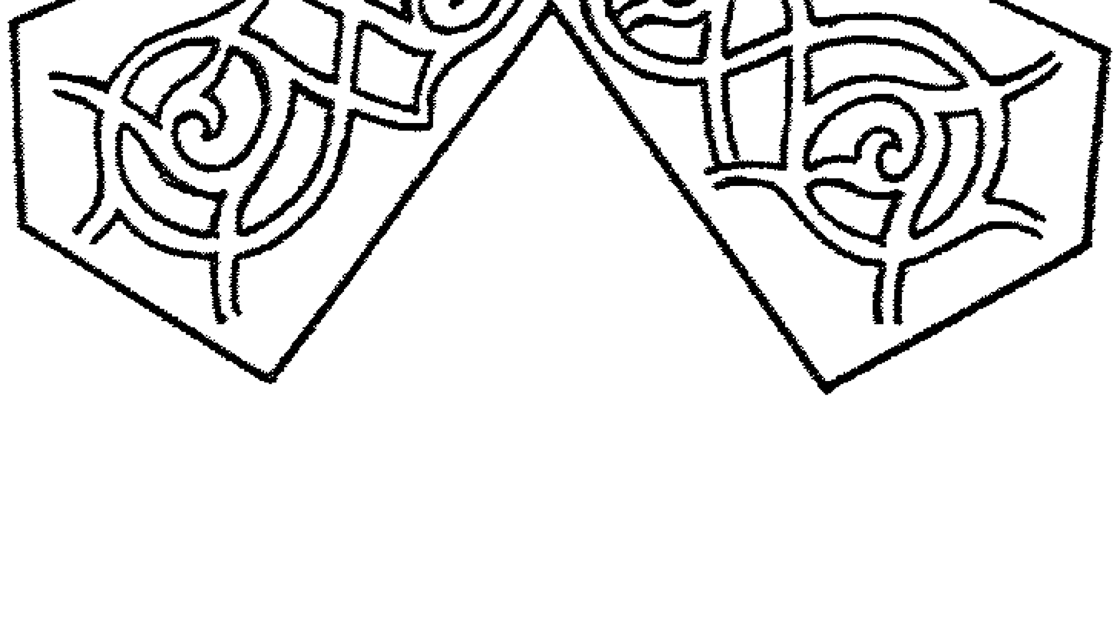

١٦ سرج « غطاء السقط »

١٧ أ مشط « درغلية »

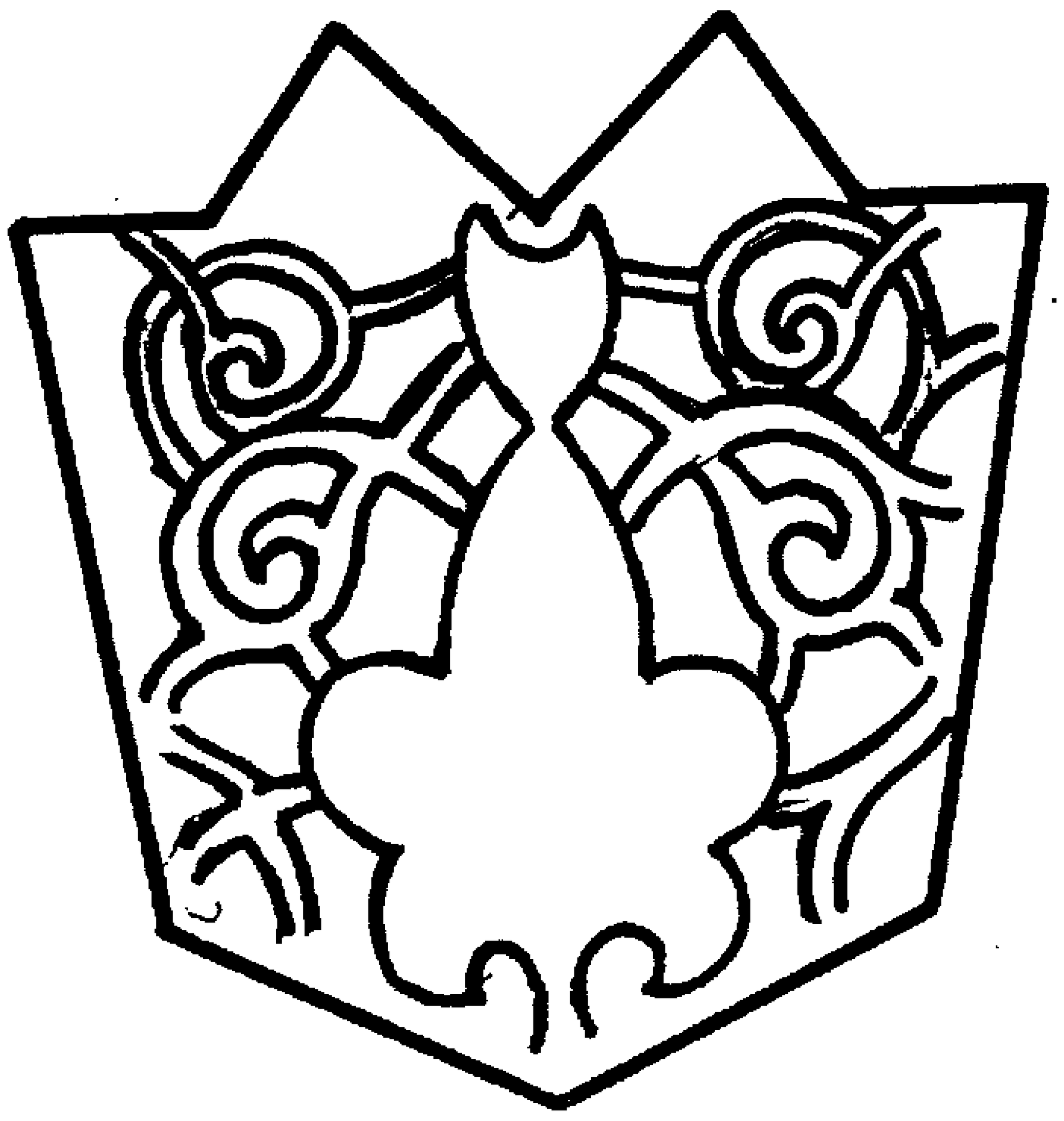

١٧ ب

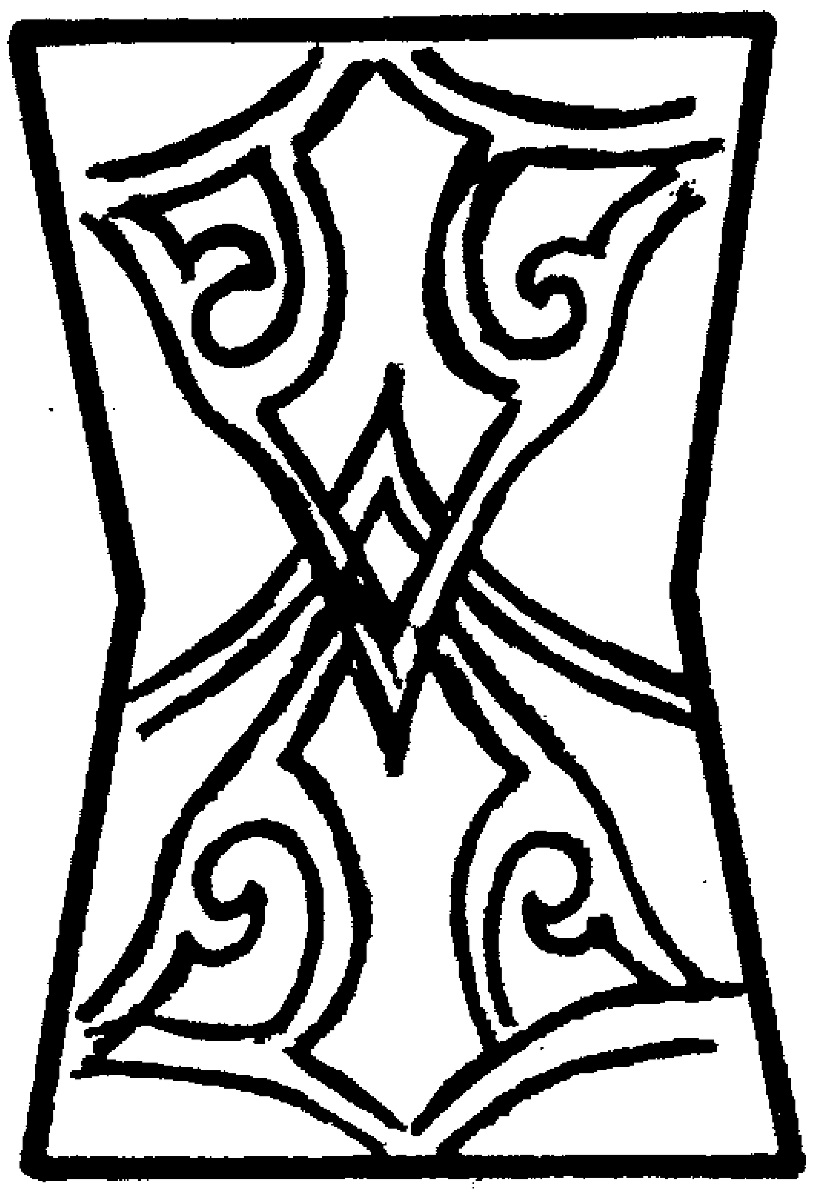

١٨ مشط

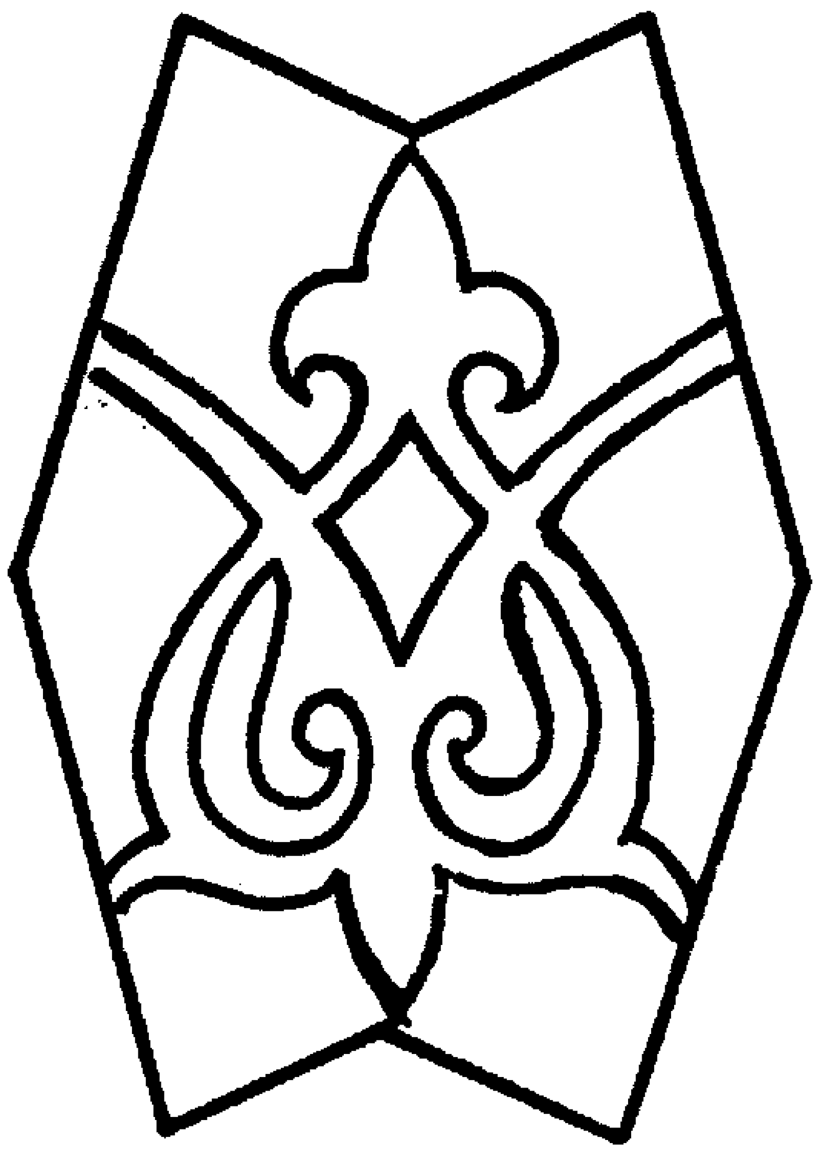

١٩ مكوك

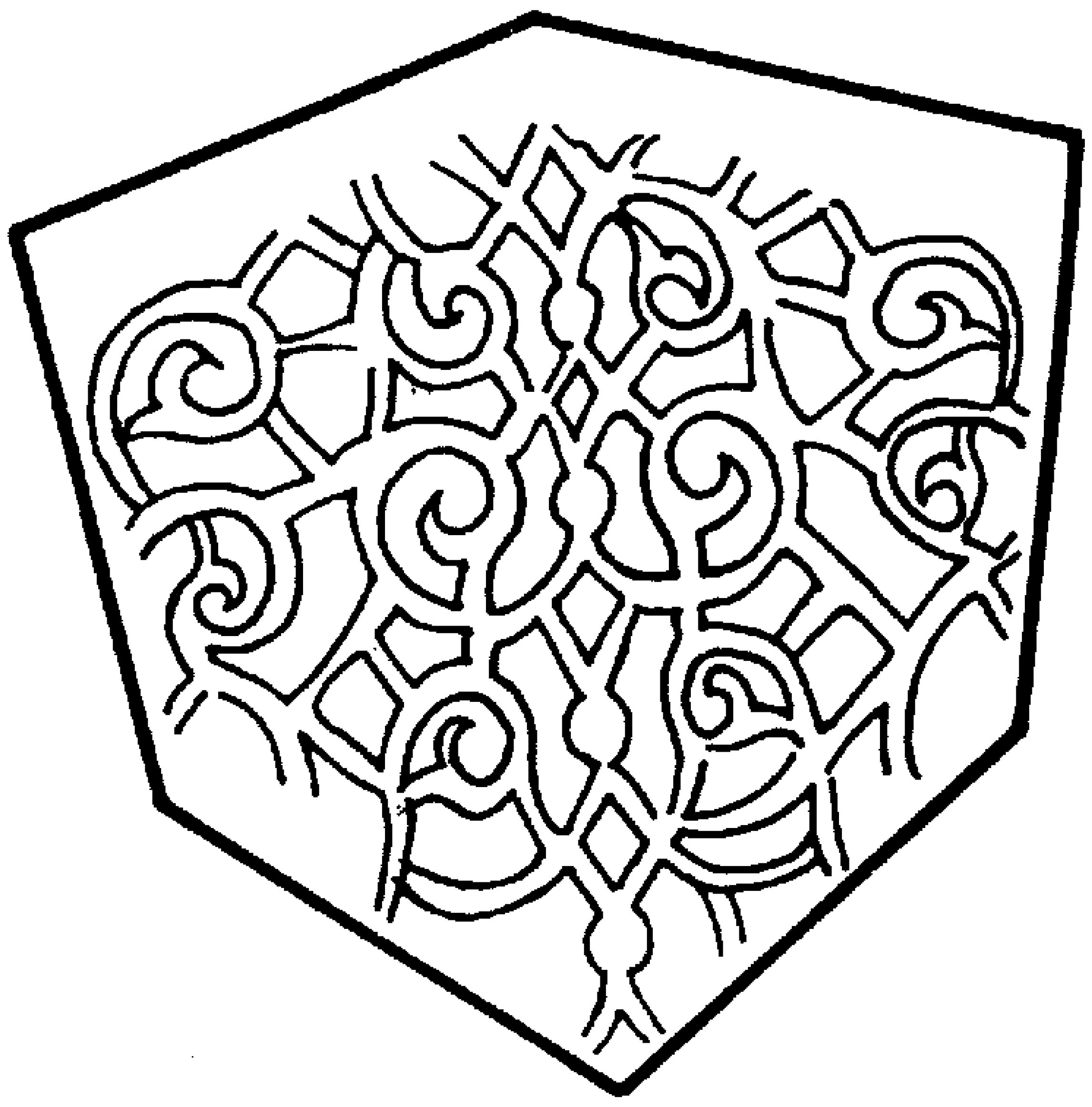

٢٠ مسد « الكند »

٢١ الفنصه

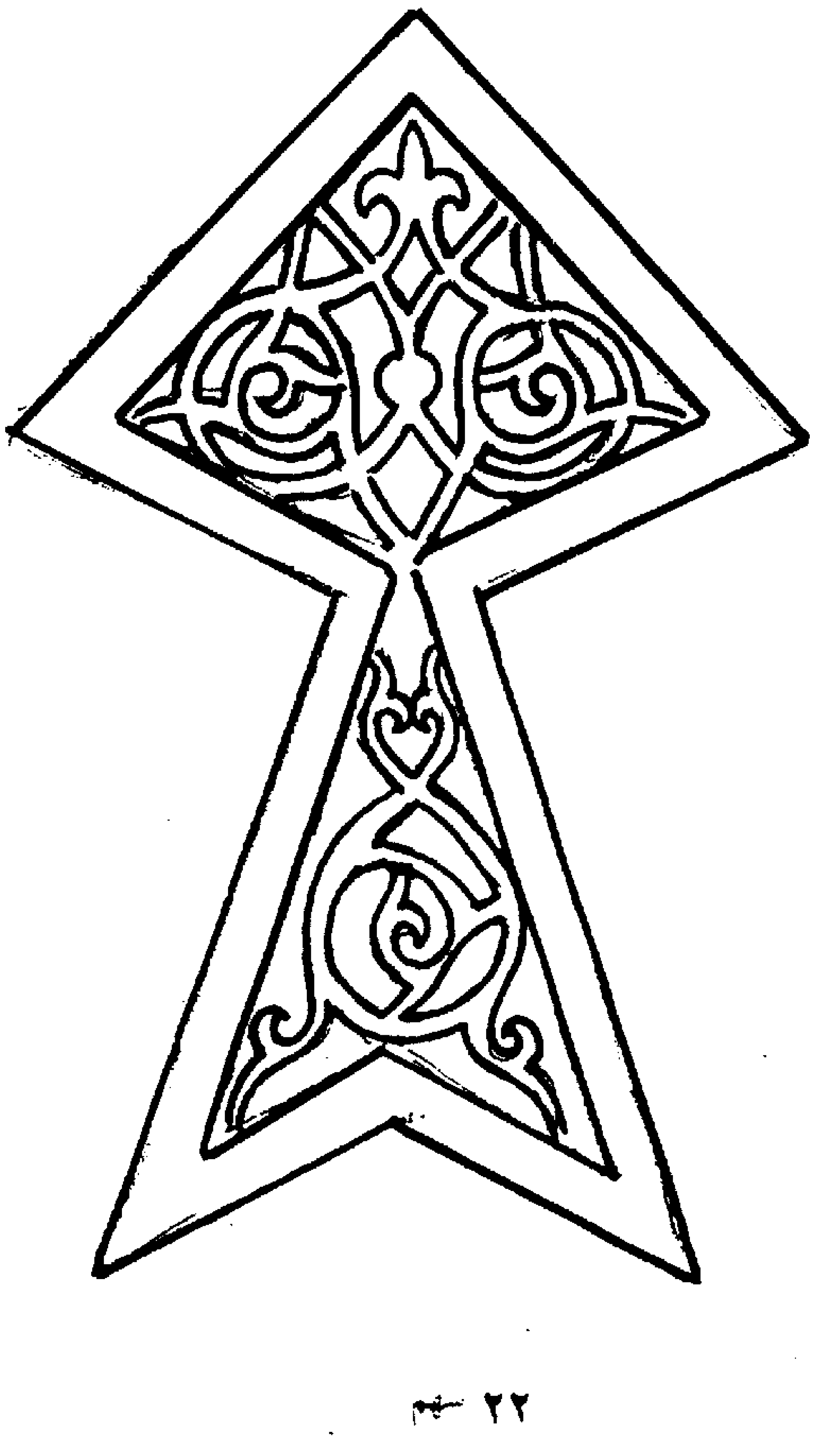

٢٢ سهم

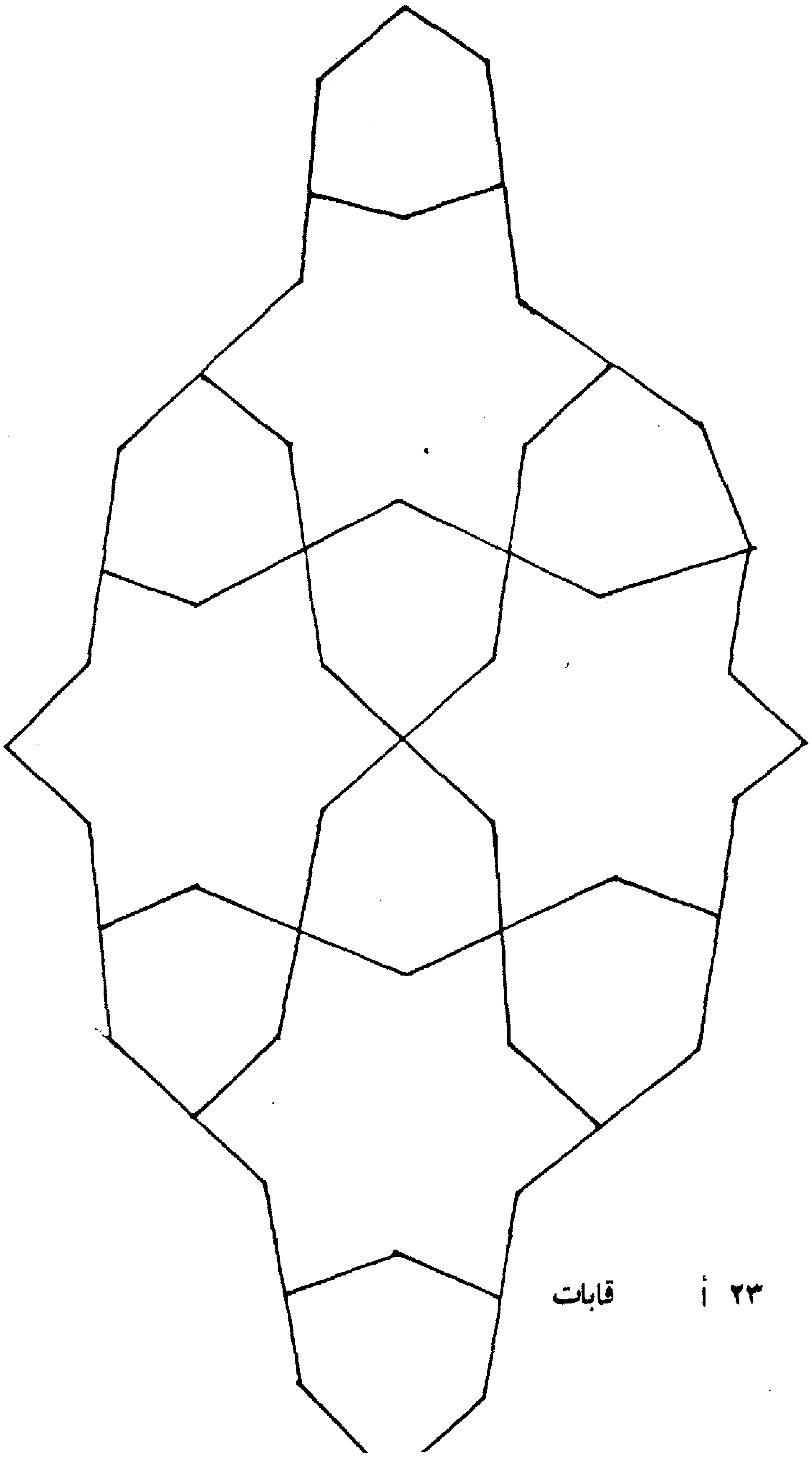

٢٣ أ قابات

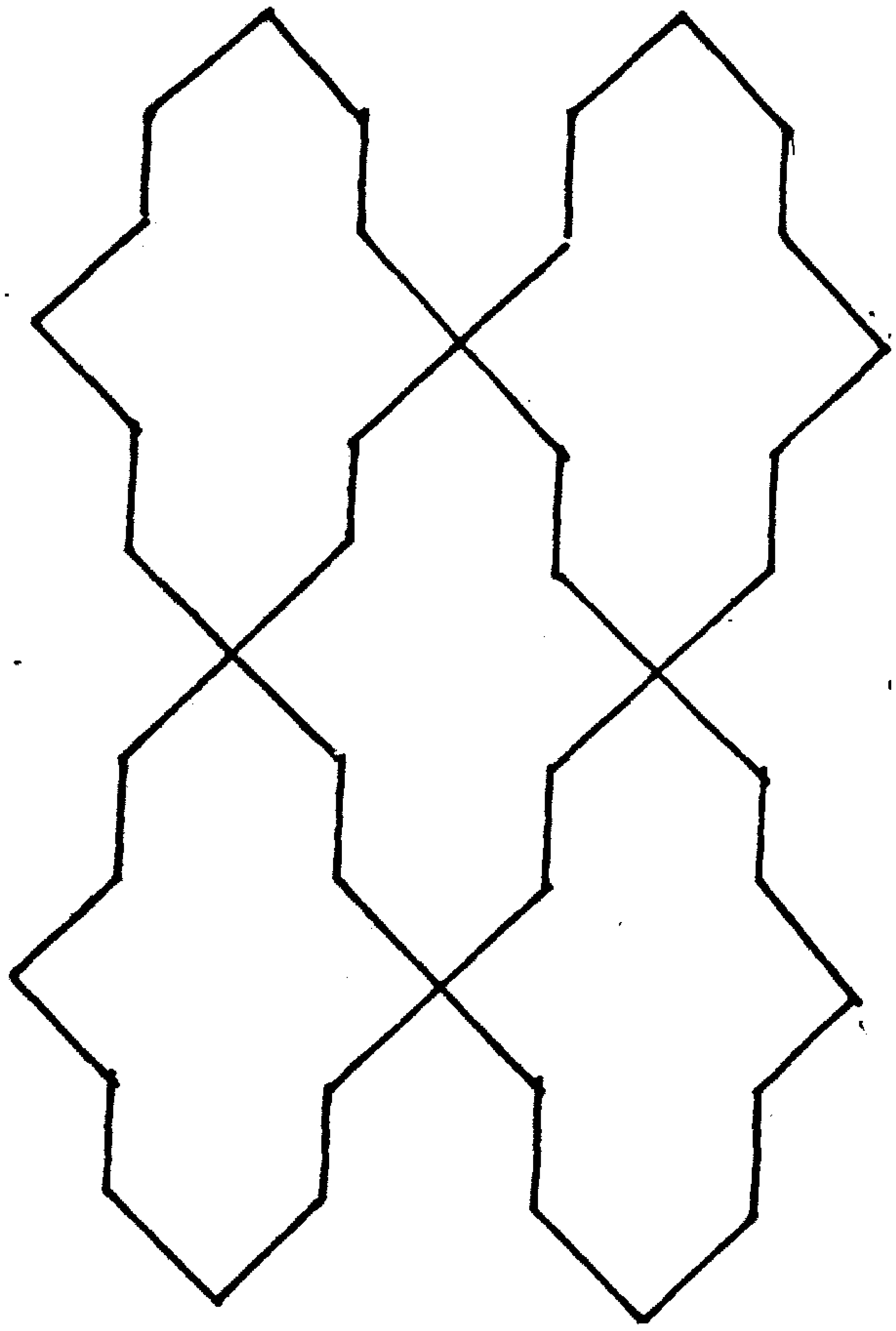

٢٣ ب قابات مرتبة مفرغة من النجوم